﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣﴾ [طه: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تحديد الوجهة الّتي أمر اللّه موسى وهارون عليهما السلام بالذّهاب إليها

بعد أن أمر اللّهُ تعالى في الآية السَّابقة موسى عليه السلام بأن يذهب هو وأخوه بالآيات التي أيّده اللّهُ بها إلى فرعون، ونهاهما عنِ الفتور والضّعف عن ذكر الله تعالى؛ عاد فأمرهما بالذهاب معًا إلى فرعون في قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ تأكيدًا لبلاغ دعوة اللّه لفرعون بمشاركة هارون مع موسى عليهما السلام.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾: علمُ جِنْسٍ لِمَلِكِ مِصْرَ في القَديم، أَيْ: قَبْلَ أَنْ يَملِكَها اليونانُ، وهوَ اسْمٌ مِنْ لُغَةِ القِبْطِ، نُقِلَ عَنْهُم في كُتُبِ اليَهودِ ثمّ نقل إِلَى العَرَبيَّةِ، ولَعَلَّهُ مِمَّا أَدْخَلَهُ الإِسْلامُ، وهَذا الاِسْمُ نَظيرُ (كِسْرَى) لِمَلِكِ مُلوكِ الفُرْسِ القُدَماءِ، و(قَيْصَرَ) لِمَلِكِ الرّوم، و(نمرود) لِمَلِكِ كَنْعانَ، واسْمُ فِرْعَوْنَ الَّذي أُرْسِلَ موسَى إِلَيْه: مِنْفِطاحُ الثَّاني، أَحَدُ مُلوكِ العائِلَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ، مِنَ العائِلاتِ الَّتي مَلَكَتْ مِصْرَ، على تَرْتيبِ المُؤَرِّخينَ مِنَ الإِفْرِنْجِ، وذَلِكَ في سَنَةِ 1491 قَبْلَ ميلادِ المَسيحِ[1].

2) ﴿طَغَىٰ﴾: أَصْلٌ صَحيحٌ مُنْقاسٌ، وهوَ مُجاوَزَةُ الحَدِّ في العِصْيانِ[2]، يُقالُ: طَغَى السيلُ، إِذا جاءَ بِماءٍ كثيرٍ يتَجاوَز حدّ ما كانَ يجْري عليْه، وطَغَى البحرُ، إِذا هاجَتْ أمواجُه[3]، والطُّغْيانُ: تَجاوُزُ الحَدِّ في التَّعاظُمِ والظُّلْمِ والكُفْرِ، وفِعْلُهُ يائيٌّ وواويٌّ، يُقالُ:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 35، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 374.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طغي).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (طغي).

طَغيَ يَطْغَى كَرَضيَ، وطَغا يَطْغو كَدَعا[1]، والطَّاغيةُ: الجبَّارُ العَنيد، والهاءُ للمُبالَغَة[2]، والطَّاغوتُ عبارةٌ عن كُلِّ مُتَعَدٍّ، وكُلِّ مَعبودٍ مِنْ دونِ اللّه تعالى[3]، والمقصودُ بالطُّغْيانِ في الآية: مُبالَغَةٌ في الطَّغْي، وهو الإفراطُ في التَّمادي والغَيِّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأمر بالذّهاب لدعوة فرعون، الّذي تجاوز الحدَّ في طغيانه وتألّهه

يأمر اللّهُ تعالى موسى وهارون في هذه الآية بأن يتوجَّها إلى فرعون، بقوله: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾؛ لتُبلِّغاه دعوتي، ولتأمراه بعبادتي، فإنَّه قد طَغى وتجاوَز الحَدَّ في الكفرِ والعِصيانِ، والتكَبُّرِ والعُدوانِ، وأفسَد في الأرض، وقال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النّازعات: 24]، وقال لهم أيضًا: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38][4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فصل هذه الآية عمَّا قبلها:

من بلاغة المقال، ما يتيحُه السّياقُ من كمال الاتّصال

فُصِلت هذه الآيةُ عمَّا قبلها؛ لأنّ الأنسب للسّياق أن تكون جملة ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بدلًا من جملة ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ - وهو مسوّغ الفصل - والغرض تأكيد نفسِ الذّهاب؛ لأنّه لشِدّة الخطر لا يكاد طبع البشر يتحقّق في تنفيذ الأمر وتحقيقه، حتّى يُعادَ فيتأكّد، فقال: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾[5].

دلالة التّثنية في قوله: ﴿ٱذْهَبَآ﴾:

المشاركة في أمر الدّعوة - بغاية التّعاون والتّكامل - مفيدة

جاء التّعبيرُ القرآنيّ بالتّثنية في قوله: ﴿ٱذْهَبَآ﴾، مع أنّه جاء بالإفراد في قوله: ﴿ٱذْهَبْ﴾ في الآية السّابقة؛ لكون المخاطَب فيها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 314.
(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (طغي).
(3) الرّاغب، المفردات: (طغي).
(4) الواحديّ، التّفسير الوجيز، ص: 695، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 294، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 506، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 107.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 290، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 224.

هو موسى ﷺ وحدَه، وأمَّا هارون ﷺ فقد كان غائبًا في هذا التّكليف، وأمَّا التّثنية في قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ﴾ فهو أمرٌ لموسى بأن يذهب، وأن يأمر أخاه بالذّهاب معه وهارون غائب[1]، وقيل: جمعهما في صيغة أمر المخاطب الحاضر ﴿ٱذۡهَبَآ﴾ مع غيبة هارون للتّغليب للحاضر[2]؛ وهو موسى ﷺ، أو أنّ التّغليب له ﷺ لكونه الأصل في أداء الرّسالة[3].

دلالة تعدية فعل الذّهاب بـ ﴿إِلَىٰ﴾:

فرعون مقصود موسى وهارون ﷺ في الذّهاب

تعدّى الفعل ﴿ٱذۡهَبَآ﴾ بحرف ﴿إِلَىٰ﴾ دون غيره؛ لأنّ ﴿إِلَىٰ﴾ موضوعٌ لانتهاء الغاية، وهذا هو المراد منَ التّعبير في قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ﴾؛ لبيان أنّ فرعون هو الغاية المقصودة في هذا الذّهاب.

سِرّ توجيه الذّهاب إلى فرعون:

تحقير فرعون والتّهوين من شأنه، بسبب طغيانه وكفره

النّاظر في هذه الآية، يجد التّصريح بذكر المذهوب إليه ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾؛ بخلاف الآية السّابقة، فلم يصرّح فيها بذكر فرعون، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾؛ وسبب ذلك: أنّ الأمر بالذّهاب في قوله: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾ كان متّجهًا إلى ما يصحب الذّهاب، وهو الآيات والتزام الذّكر، أمَّا الذّهاب في آية: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾، فمقصودٌ منه بيان الغاية، وهي فرعون لدعوته وتذكيره، وتحذيره منَ الطّغيان في ادّعائه الألوهيّة والرّبوبيّة، وقيل: ذَكرَ المذهوبَ إليه في قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾، وحَذَفه في الأوّلِ في قوله: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾؛ اختصارًا في الكلام[4]، ولدلالة السّياق عليه قبلَ ذلك، وقيلَ: الأَوَّلُ: أَمرٌ لموسَى بالذِّهابِ إِلَى كُلِّ النَّاسِ، والثَّاني: أَمرٌ لَهُما بالذِّهابِ إِلَى فِرْعَوْنَ[5]، والملاحظ أنّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 224.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 17.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 433.
(4) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 42.
(5) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 433.

النّظم القرآنيّ في الآيتين حذفَ مِن كلٍّ منَ الذّهابين ما أثبتَه في الآخر، وذلك أنّه حذف المذهوب إليه منَ الأوّل ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾، وأثبتَه في الثّاني، وحذفَ المَذهوبَ به، وهو ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ من الثّاني وأثبته في الأوّل، وهذا مِن براعة الإيجاز القرآنيّ[1].

دلالة فصل قوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾:

حـمـل الآيـة على الاستئناف الـبـيـانيّ، من جميل الأسلوب القرآنيّ

فُصِل قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ عن قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾؛ لكونها جملةً معلِّلةً للذّهاب، على تقدير سؤال: لماذا الذّهاب إلى فرعون، فكان الجواب لأنّه ﴿طَغَىٰ﴾، والغرض من ذلك: أن يُكَفّ عن هذا الطّغيان في حقّ نفسه، بعدم دعوى الأُلوهيّة والرّبوبية؛ لأنّه مخلوق، وفي حقّ بني إسرائيل: بعدم ذَبْح ذكورِهم واستحياءِ نسائهم.

دلالة التّأكيد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾:

تـحـفـيـز مـوسى وهارون عليهما السلام إلى الذّهاب لفرعون

الجملة مؤكِّدة لكون فرعون قد طغى، وليس في أمر طغيانه مِن شكّ، لكن جاءت الجملة التّعليليّة مستهلّةً بالتّأكيد بـ (إنّ)؛ تنزيلًا للمخاطَب منزلةَ الشّاكّ ليُؤكّد، وليكونَ دافعًا وحافزًا لهما للتّشبّث بالذّهاب.

دلالة التّعبير بالطّغيان دون غيره:

فـرعـون عـنـوان لـلـطّـغـيـان، لزَعْمِه الألوهيّة وذلـك أعـظَـمُ البهتان

عبَّر القرآنُ الكريم بالطّغيان عن فرعون في قوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، دون غيره كالعلوّ والاستكبار مع وجودهما فيه؛ لأنّ الطّغيان هو مجاوزة الحَدّ، وأي مجاوزةٍ أقبحُ ممَّا فعلَه فرعونُ بادّعائه الأُلوهيّة والرّبوبيّة، فقال فيما حكاه القرآن: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: 38] وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النّازعات: 24].

دلالة التّعبير بالماضي ﴿طَغَىٰ﴾:

عبَّر القرآن الكريم عن طغيان فرعون، بالفعل الماضي ﴿طَغَىٰ﴾

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 42.

للدّلالة على تحقّق وقوع الطّغيان منه، ورسوخ ذلك فيه، حتّى صار الطّغيان عنوانًا له يُعْرَف به.

رســـوخ صفة الـطّـغـيـان في فرعون، أمرٌ يقرّه الوحيّ، ويؤيّده التّاريخ

دلالة رسم الفعل ﴿طَغَىٰ﴾ بصورة الياء:

النّاظر في رسم المصحف للفعل ﴿طَغَىٰ﴾، يجد في آخره ألفًا ممالةً، أي: بصورة الياء؛ للإشارة إلى أنّه من (طغي) مثل (رضي)، لأنّه يجوز فيه الواو أيضًا، فيقال: يطغو مثل يدعو[1]، وهذا التّعليل غير كافٍ؛ لتَعدُّد صورةِ رسم الفعل ﴿طَغَىٰ﴾ في القرآن الكريم، حيثُ جاء الرّسم في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: 17]؛ بخلاف موضع سورة الحاقة فجاء رسمُه مختلفًا، حيثُ كُتِب بألف ليست على صورة الياء، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: 11]؛ فالملاحظ اختلاف رسم الفعل ﴿طَغَا﴾ [الحاقة: 11] عن موضع طه والنّجم دون سببٍ لغويٍّ أو صرفيٍّ؛ ولعلّ السّياق يفسّر ذلك؛ لأنّ ما ورد في سورة الحاقّة يتعلّق بالطّغيان الماديّ المحسوس للماء؛ فهو ظاهر؛ لذلك كُتِب بالألف الظّاهرة؛ بِخلاف الطّغيان في المواضع الأخرى، فهو معنويّ كطغيان فرعون، وأيضًا ما ورد في سورة النّجم في نفي طغيان البصر؛ فهو أمرٌ معنويّ، بأنّه في رحلة المعراج، وهي غيبيَّةٌ لا تخضع للحسّ.

لرسم المصحف لمحاتٌ بلاغيّة، تجسّدُ البيانَ المعجز

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الطّغيان والعُتوّ:

النّاظر في معاجم اللّغة العربيّة، لا يجد فروقًا دلاليّةً بينهما؛ لكنّ الاستعمال القرآنيّ أوجد فروقًا بينهما، فالطّغيان: مجاوزة الحدّ في المكروه والعصيان، والعُتوّ أدنى منه؛ فهو يعني المبالغة في المكروه، وهو دون المجاوزة؛ يؤكّد ذلك ما قاله العسكريّ في الفرق

الطّغيان أقوى مـنَ الـعُـتـوّ، وكـلاهـمـا مـنَ الألفاظ القرآنيّة المستعملة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 225.

بينهما: إنّ الطغيان مُجاوزَة الحَدّ في المَكْروه مَعَ غَلَبَةٍ وقهرٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: 11]، يُقال: طغا الماء إذا جاوز الحَدّ في الظُّلم، والعتوُّ: المُبالغَة في المكروه، فهوَ دون الطّغيان، ومِنْه قَوْله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: 8]، قالوا: كلّ مبالغ في كبرٍ أو كفرٍ أو فسادٍ، فقد عتا فيه، ومِنْه قَوْله تَعالَى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقّة: 6] أي: مُبالغَة في الشدَّة، ومِنْه قَوْله تَعالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الطّلاق: 8]، يَعْني: أَهلها تكبروا على رَبّهم فلم يطيعوه[1]، وعلى هذا، فالتّعبير بالطّغيان أنسب منَ التّعبير بالعتوّ؛ لأنّ فرعون جاوز كلّ الحدود بادّعاء الأُلوهيّة، وانتحال الرّبوبيّة.

❁ المُتَشابِهُ اللَّفْظِيُّ:

توجيه المتشابه اللّفظيّ بين موضعي سورة طه، والنّازعات:

خطاب المُثنّى لموسى وأخيه، والإفراد لموسى كونه حاضرًا، أو على التّغليب

تشابهت هذه الآية: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، بخطاب التّثنية، مع قوله تعالى في نفس السّورة قبل ذلك: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾ [طه: 24] بالإفراد، وفي سورة النّازعات ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النّازعات: 17] بالإفراد كذلك، وقدِ اتّفقت هذه الآيات في كلّ التّركيب إلّا في تثنية الخطاب في الآية الّتي معنا، فأمّا خطاب الإفراد فمُرادٌ به موسى عليه السلام؛ إمّا لكونه الحاضر، بينما كان هارون عليه السلام غائبًا عنِ الخطاب، وإمّا لكون موسى عليه السلام هو الأصل في الرّسالة، فكان ذِكرُه بخطاب الإفراد تغليبًا[2]، وأمّا خطاب التّثنية: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، فالمراد به كلاهما؛ موسى عليه السلام باعتباره المخاطَب حقيقةً، وهارون عليه السلام باعتباره مُبلِّغًا من أخيه.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 230.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 17، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 433.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»